# إشكاليات المصطلح السيميائي

**محمـد العبــد**

**الأستاذ في قسم اللغة العربية**

**كلية الألسن ـ جامعة عين شمس**

## تـوطئـة:

يعرف هذا العلم في اللسانيات والنقد الأدبي العربي المعـاصر صيغتين معرّبتين، هما: «السيميوطيـقا» و«السيميولوجيا». ولكنه عرف مقـابلات لغوية عربية عدة؛ من أكثرها استعمالاً: «علم العلامات» و«السـيمياء» و«السيميائية». يعني هذا ـ من البداية ـ أن هذا العلم قـد افتقد التوحـيد المعياري للمـصطلح. دعنا نطلق عليه ـ مبدئياً ـ اسم «السـيميائية». مجال السـيميائية هو دراسة السيـمات (أي العلامات) لغوية وغير لغوية.

أما نشأة هذا العلم، فكانت مُزْدوَجـة؛ إذ يؤرخ لبنيته النظرية الأولى باثنين من العلماء، أحدهما الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس Charles Sanderce Peirce (١٨٣٩-١٩١٤م)، والآخر اللغـوي السويسري فرديناند دوسـوسير Fer-dinand de Saussure (١٨٥٧-١٩١٣م). عـرف هـذا العلم عند بيـــرس باسم Semiotics. وهو الاسم الذي اعتادته المدرسـة السيميائية الأمـريكية ـ أو «المدرسة البيرسيّـة» ـ التي يمثلها موريس وكارناب وسيبـيوك وغيرهم. أما دوسوسـير، فقد عرف عنده باسم Semiologie. وهو الاسم الذي جرت عليـه المدرسة الفرنسـية، بل المدرسة الأوربيـة السوسيرية، التـي يمثلها يويسنس ويلمسليف وبريتـو ومونان وبنفنيست وبارت وغيرهم.

السيمـيائية عند بيرس «نظرية شكليـة للعلامات»[1]. تستخدم كلـمة «العلامة» للتعبير عن موضوع أو شيء Object، سواء أكان مدركاً أم متخيلاً، يضرب بيرس

(١) بيرس (تشارلز سـاندرز): تصنيف العلامات، ترجمـة: فريال جبوري غزول، في: أنظمـة العلامات في اللغة والأدب والثقافة: مـدخل إلى السيميوطيقا، إشراف: سيزا قـاسم ونصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، ط١، (١٩٨٦) ص ١٣٧.

مثالاً على ذلك بكلمة «fast»، وهي علامة غير متخيلة. يقول: "لا نكتب أو نلفظ هذه الكلمة ذاتها، بل وجهاً من وجوهها.. إن الكلمة «fast» مكتوبة أو ملفوظة هي ذاتها، سواء كانت تعني «بسرعة» أو بمعناها الآخر «ثابت» أو بمعناها الثالث «صوم». فإن الشيء لا يصبح علامة إلا عندما يقوم «بتصوير» شيء آخر يسمى «موضوعته»[١].

كان بيرس قد استعار المصطلح Semiotic من التسمية التي أطلقها جون لوك على العلم الخاص بالعلامات والدلالات المنبثق عن المنطق، الذي كان لوك ينظر إليه بوصفه علم اللغة، وأنفق بيرس حياته في تطوير هذا المفهوم. ويشهد الكم الهائل من ملاحظات بيرس على الجهد العنيد الذي بذله في تحليل المفاهيم الخاصة بالمنطق والرياضة والفيزياء في إطار السيميوطيقا. ولقد امتد سعيه ليشمل المفاهيم الخاصة بعلم النفس والأديان[٢].

عني بيرس بتصنيف العلامات. ويعد تصنيفه الثلاثي للعلامة إلى ما يسمى بالإيقون Icon والمؤشر Indes والرمز Symbol، يعد من الأسس المنهجية في دراسة العلامات كلها. يرى بنفنيست أن هذا التصنيف الذي يكمن في أساس المعمار المنطقي الهائل الذي بناه بيرس، قد يكون هو الشيء الوحيد المتبقي منه[٣].

أما دو سوسير، فكان يرى اللغة نظاماً من العلامات، وأنها تماثل الكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية والإشارات العسكرية ونحوها. يدرس هذا العلم عند دوسوسير حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية. وهو يشكل عنده جزءاً من علم النفس العام[٤].

(١) المرجع السابق ص ١٣٩.

(٢) بنفنست (إميل): سيميولوجيا اللغة، ترجمة: سيزا قاسم، في: أنظمة العلامات، ص ١٧٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٢.

(٤) دوسوسير (فردينان): دروس في علم اللغة العام، ترجمة فصول منها للدكتور عبدالرحمن أيوب، في أنظمة العلامات، ص ١٤٩.

يبدو موقف دو سوسير مقابلاً لموقف بيرس؛ وذلك أن التأمل عند دوسوسير ينطلق من اللغة نفسها. وهو يرى أن اللغة أكثر أهمية من سائر الأنظمة «السيميولوجية» الأخرى.

يكشف هذا العلم ـ في تصور دوسوسير ـ كينونة العلامات والقوانين التي تحكمها. ولما كانت اللغة نظاماً من العلامات التي تعبر عن أفكار، فإن دوسوسير يجعل علم اللغة قسماً من هذا العلم العام: «السيميولوجيا». وستطبق القوانين التي سيكتشفها على علم اللغة[1].

جذبت «السيميائية» أنظار الأجيال اللاحقة من اللسانيين المحترفين. واجتهد النقاد اللسانيون في تطبيق مبادئها ومعطياتها، في تحليل النص الأدبي وتأويله، من أمثال: جان موكارفسكي، وتزفتيان تودوروف، ومايكل ريفاتير، ورولان بارت، وكير إيلام، وروبرت شولز وغيرهم.

حاول موكاروفسكي وضع نظرية متكاملة في النقد الأدبي والسيميائية. وأفاد من تعريف دوسوسير للعلامة في بحث سيميائية الفن؛ فالعمل الفني يملك ـ بالإضافة إلى وظيفته علامة مستقلة ـ وظيفة أخرى؛ هي وظيفة العلامة التوصيلية. ومن ثم، فالعمل الأدبي يجمع بين كونه عملاً فنيّاً من جانب، وبين كونه ـ في الوقت نفسه ـ كلاماً يعبر عن موقف عقلي أو فكرة أو شعور وهلمّ جرّا[2].

وفي تحري العلاقة بين الأدب والدلالة، يعرض تودوروف لمفهوم اعتباطية العلامة في العلم الأدبي بين دلالتها الاصطلاحية ودلالتها المصاحبة[3].

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٩.

(٢) موكارفسكي (جان): الفن باعتباره حقيقة سيميوطيقية، ترجمة: سيزا قاسم، في: أنظمة العلامات ص ٢٨٨ وما بعدها.

(٣) تودوروف (تزفتيان): الأدب والدلالة، ترجمة: دكتور محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١ (١٩٩٦) ص ٢٤ وما بعدها.

ويحلل كير إيلام مسألة توظيف العناصر السيميائية وتحويلها إلى قوة دلالية في النص المسرحي، فيما عرف ـ على التعريب ـ باسم «السمطقة» Semitization[1].

ويناقش مايكل ريفاتير طريقة تغيير العلامة معناها إلى معنى آخر، وطريقة بناء القصيدة على شفرة رمزية. ويرى أن كل ما يرتبط باندراج العلامات من صعيد المحاكاة إلى مستوى أعلى من الدلالة، يعد مظهراً من مظاهر هذه «السمطقة»[2].

ويبين روبرت شولز أن الإلمام باللغة التي أنتج بها النص الشعري، لا يكفي لجعل النص قصيدة، بل ينبغي للقارئ أن يلم بالشفرة الشعرية أيضاً. ويرى أن فعل قراءة القصيدة، ينطوي على معرفة خاصة بموروثها، وينطوي أيضاً على مهارة تأويلية خاصة[3]. ويخلص شولز ـ من خلال تحليله عدداً من النماذج الشعرية ـ إلى أن المقدمة الكبرى في أي دراسة سيميائية للشعر، هي أن القصيدة نص يرتبط بنصوص أخرى، ويتطلب مشاركة فعالة من قارئ ماهر قادر على تأويله[4].

لا شك أن عرض المداخل السيميائية إلى النقد الأدبي بعامة، والنقد الأدبي العربي بخاصة، مما يحتاج إلى دراسة مستقلة. حسبنا هنا الإشارة إلى حفاوة استقبال النقد الأدبي العربي المعاصر لمفاهيم السيميائية، وسعيه إلى توظيفها في تطوير منهجية لسانية، تسهم في تأويل النص الأدبي وتحليل أبنيته الدلالية والتداولية.

---

(١) إيلام (كير): العلامات في المسرح، ترجمة: سيزا قاسم، في: أنظمة العلامات ص ٢٤١ وما بعدها.

(٢) ريفاتير (مايكل): سيميوطيقا الشعر: دلالة القصيدة، ترجمة: فريال جبوري غوزل، في: أنظمة العلامات ص ٢١٧ ومابعدها.

(٣) شولز (روبرت): سيمياء النص الشعري، في: اللغة والخطاب الأدبي: مقالات لغوية في الأدب، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط١ (١٩٩٣) ص ٩٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق ص ٩٧.

## إشـــارات

أود ـ قبل عرض الإشكاليات وإبداء الرأي فيها ـ الإشارة إلى الأمور التوضيحية التالية:

أولاً: لكل اتجاه نقـدي لساني مفـاهيمه ومصطلحـاته المرتبطة به. وهناك ـ إلى جانب هذا ـ مـفاهيم ومصطلحات مـشتركـة بين اتجاهات مختلفـة، من حيث إن الظاهرة الأدبية ظاهرة لغوية.

ثانياً: في هذه الدراسة تقدم الأولوية للمفاهيم والمصطلحات السيميائية الخاصة. في الوقت نفسه، لا ينبـغي لنا أن نغفل عن المصطلحات المشتـركة التي عدت من الركائز المنهجية العامة في التحليل السيميائي للنص الأدبي.

ثالثـاً: تصنف المصطلحات في حـقول دلاليـة. يختص كل حـقل منها بـأحد المحاور الموضـوعية للاتجاه السـيميـائي. يعطي هذا التصنيف فرصـة ـ وإن كانت محدودة بحدود قطاع العمل هنا ـ لبيان العلاقات البنائية والوظيفية بين مصطلحات كل حقل، وبيان طرق التعامل الفعلي للناقلين مع تلك المصطلحات.

## معايير عامـــة

يوجب الزعم بوجود إشكالية مصطلحية، توافر معايير ذات كفاءة نظرية وعملية مجـمع عليها. طرحت في دراسـات سابقة مـعايير عـدة، أجمع على بعضـها، واختلف في بعضها الآخر[1]. لعل المعايير الأربعة الأساسية التي نطرحها هنا كافية ـ من هاتين الناحيـين ـ لتقويم تجربة استـخدام المصطلح وطرق صياغـته في حقل «السيميائية» أنموذجاً لحقول أخرى:

(١) مثال ذلك قول جابر عـصفور، وهو من أبرز المهتمين بقضية المصطلـح الأدبي: «ومن الأفضل الاحتفاظ بالصيغـة المعربة، مادام لا يوجد لهـا مقابل»: النظرية الأدبيـة المعاصرة، لرامان سلدن، ترجـمة وتقديم جابر عصفور، دار فكر للدراسات والنشر، القاهرة ـ باريس، ط١ (١٩٩١) هامش ص ٩٦.

١ـ مقابلة المصطلح الأجنبي بما يناظره في المصطلح العربي التراثي، إن وجد.

٢ـ فإن لم يوجد، نقل إلى مقابله العربي المولد، مع توافر شرطين رئيسين:

(أ) أن يكون المولد أدق مرادفاته في نقل المعنى.

(ب) أن يخضع المولد لشروط الصحة اللغوية: بنيةً وتركيباً (والمرجع في هذا الشرط إلى القواعد العامة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال المصطلحات)[١].

٣ـ فإن لم يوجد مقابل مولد مناسب، عرِّب المصطلح على نهج العربية في التعريب (وتعد قواعد التعريب التي أقرها المجمع في قواعده العامة جزءاً مكملاً لما أقره القدماء).

٤ـ ويجب أن يقابل المصطلح الأجنبي الواحد، بمصطلح عربي واحد، في الحالات السابقة جميعاً، سواء أكان بالنظير أم بالمقابل المولد أم بالتعريب، وذلك ابتغاء التوحيد المعياري.

روعي في هذه المعايير الأربعة العامة مطابقتها لما ينبغي أن يكون عليه سلم الأولويات في التعامل العربي مع المصطلح الأجنبي. وهي ـ من ناحية أخرى ـ تأخذ بجوهر اثنتين من المرجعيات العلمية والعملية المعاصرة في حقل المصطلح، وهما: «القواعد العامة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال المصطلحات» وهي التي أشرنا إليها، و«المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها في ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي: (الرباط) ١٨-٢٠/ ٢/ ١٩٨١م»[٢]. كانت «القواعد» قد بلغت ٦١ قاعدة، بينما وقعت

(١) انظر القواعد التي أقرها المجمع في الملحق رقم (١) من:

محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة (١٩٩٣) ص ص ٢٣٧-٢٤٧.

(٢) انظر هذه المبادئ أيضاً في الملحق رقم (٣) من المرجع السابق ص ص ٢٥١-٢٥٣.

«المبادئ» في ١٨ مبدأ. ولكن ينبغي لنا أن نلاحظ ما يلي:

أولاً: لم تخل كل من «القواعد» و«المبادئ» من خلط بين أسس التشريع اللغوي للمصطلح وإجراءات العمل والتنفيذ (انظر من «القواعد»: ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، وانظر من «المبادئ»: د، هـ، من المبدأ رقم ٥).

ثانياً: تبدو «المبادئ» أيسر من «القواعد»، في استنباط معايير كبرى، يعيّن فيها تدرج سلم الأولويات.

ثالثاً: تتمتع «القواعد» بميزة مرجعية هيئة لغوية رسمية، يستند إليها في الإقرار والإجازة والمخالفة.

رابعاً: انفردت «المبادئ» بنص صريح على اثنين من أهم المبادئ المساعدة على التوحيد المعياري للمصطلح، وهما:

- «وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد».
- «تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد، في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك».

أما «القواعد»، فقد خلت من النص على مثل ذلك، على رغم أن التوحيد المعياري للمصطلح، يتطلب: «إيجاد مصطلح واحد للمفهوم الواحد. وإذا كانت اللغة تسمح بوسائل كثيرة لتكوين المصطلحات، فإن علم المصطلحات المعياري، يحدد الضوابط الموجهة لاستخدام كل وسيلة من هذه الوسائل»[1].

والحق أن الصيغة الهيكلية الكبرى للمعايير الأربعة السابقة، قد فرضتها - في الأساس - رؤية نتائج سلبية أولية في التعامل مع المصطلح في حقل السيميائية. ولكن رغبة التدقيق العلمي لمدى صدق هذه الرؤية، فرضت جعل هذه «القواعد» و«المبادئ» من أهم المستندات العلمية والعملية التي تحقق هذه الرغبة.

(١) المرجع السابق ص ٣٤.

وغني عن البيان أن ما كان لشيء من هذه «المعايير» و«القواعد» و«المبادئ» أن يكون إلا بتقصي واقع الاستخدام المصطلحي. ويعني هذا أن احتمال الإضافة أو التعديل ـ أو كليهما معاً ـ في شيء منها، من الاحتمالات غير المستبعدة.

على رغم ما عرضته «المبادئ» من وسائل علمية وعملية واقعية للتوحيد المعياري للمصطلح، يرى عبدالقادر الفاسي الفهري فساد هذه «المبادئ» وغموضها وتضاربها، وأنها لا تقوم على أساس نظري[1]. ويرى أن النص ـ في هذه المبادئ ـ على أن يفضل اللفظ التراثي على اللفظ الجديد، هو رغبة (غير مفهومة) في عدم تجديد التعبير باللغة، إضافة إلى أنه اختيار يقود في كثير من الأحيان إلى خلط المفاهيم[2]. ولم يضع الفاسي يده على ما يراه بديلاً عن هذا المبدأ. وقضى بأن معركة التعريب ـ وهو عنده بالمفهوم الواسع لا بالمعنى الاصطلاحي ـ فاشلة لا محالة ما لم تتحقق ثورة اجتماعية وثقافية وسياسية كاملة، لا يسهم فيها أنصار التعريب فقط، بل تصبح معها قضية التعريب جزءاً من القضية الاجتماعية العامة[3]. وأغلب الظن أن مثل هذه الطروحات اللغوية الفلسفية ـ على رغم ما تتوسمه لنفسها من طموح وتميز ـ لن يكون لها صوت مسموع في قضية المصطلح الدائرة الآن.

## الإشكاليات

أشرت سابقاً إلى أن المدرسة السيميائية، قد عولت ـ بالإضافة إلى مصطلحاتها الخاصة ـ على بعض مما يعد من ثوابت المصطلح في المدارس اللسانية المختلفة. لا نتغيّا في هذه الورقة أن نضع معجماً للمصطلح السيميائي. إنما نتغيّا أن نتخذ من

(١) عبدالقادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط١ (١٩٨٦) ص ٣٨٩.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٩.

(٣) المرجع نفسه ص ٣٥١.

أهم وحدات هذا المعجم، ما يوقفنا على إشكالياته الكبرى. في ضوء ذلك، يمكننا تحديد الحقول التالية:

١ـ حقل مصطلحات تسمية العلم.

٢ـ حقل مصطلحات تصنيف العلامات.

٣ـ حقل مصطلحات الوظائف الاتصالية.

٤ـ حقل مصطلحات الأنظمة السيميائية.

٥ـ حقل مصطلحات المفاهيم الكبرى في التحليل السيميائي.

يتيح التصنيف إلى حقول فرصة الوقوف على أقواها إثارة للإشكاليات، كما يتيح فرصة النظر إلى المصطلح مرتبطاً بقرينه في الثنائية الواحدة.

**١ـ حقل مصطلحات تسمية العلم.**

إذا كانت ازدواجية النشأة في هذا العلم، قد جعلت له اسمين اثنين، هما Semiotics عند بيرس و Semioligie عند دو سوسير، فقد عرف له عندنا ـ من خلال استقراء الصور المختلفة ـ ثمانية عشر اسماً هي:

| | |
|---|---|
| ١ـ السيميوطيقا/ السيميوتيقا. | ٢ـ السيميولوجيا. |
| ٣ـ علم العلامات. | ٤ـ العلامة. |
| ٥ـ العلاميات. | ٦ـ العلاماتية. |
| ٧ـ السيمياء. | ٨ـ علم السيمياء. |
| ٩ـ السيميائية. | ١٠ـ السيميائيات. |
| ١١ـ علم السيميائيات. | ١٢ـ علم الأدلة. |
| ١٣ـ علم الدلائل. | ١٤ـ الدلائلية. |
| ١٥ـ علم الإشارات. | ١٦ـ الإشارية. |

١٧ـ علم الرموز.

١٨ـ الأعراضية[١].

تضرب هذه القائمة من التسميات صفحاً عن مبادئ التوحيد المعياري للمصطلح

(١) يميل بعضهم إلى التعريب، مثل: سيزا قاسم/ نصر أبو زيد:

ـ أنظمة العلامات: مدخل إلى السيميوطيقا، مرجع سابق، وليس في ذكر مقابل عربي إلا إيضاح ماهية علم جديد.

وعبدالسلام بنعبد العالي، في ترجمة:

ـ درس السيميولوجيا، لرولان بارت، دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء، ط٢ (١٩٨٦).

ـ وحميد لحمداني، في ترجمته (مع آخرين):

ـ الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، لمارسيلو داسكال، إفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء، ط (١٩٨٧).

وجابر عصفور، في ترجمته:

ـ النظرية الأدبية المعاصرة، لرامان سلدن، دار فكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ـ باريس، ط١ (١٩٩١).

ومحمد نديم خشفة، في ترجمته:

ـ الأدب والدلالة، لتزيفتيان تودوروف، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١ (١٩٩٦).

وجميل حمداوي، في بحثه:

ـ السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج ٢٥ ع ٣ يناير ـ مارس (١٩٩٧) ص ص ٧٩-١١٢.

ويميل بعضهم إلى المقابل العربي، ومنهم:

أنطوان أبو زيد، في ترجمته:

ـ السيمياء، لبيير غيرو، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط١ (١٩٨٤). ولعله أول كتاب يعرف هذا المقابل لـ Semiologie.

ومحمد البكري، في ترجمته:

ـ مبادئ في علم الأدلة، لرولان بارت، الدار البيضاء (١٩٨٦).

وأنور المرتجي، في دراسته:

ـ سيمائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء ط١ (١٩٨٧).

ورئيف كرم، في ترجمته:

ـ سيمياء المسرح والدلالة، لكير إيلام، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء (١٩٩٢).

وسعيد الغانمي، في ترجمته:

ـ سيمياء النص الشعري، لروبرت شولز، ص ص ٩٣-١١٩ من: اللغة والخطاب الأدبي، مجموعة=

وهي تواجهنا بالإشكاليات التالية:

أولاً: مخالفة التوحيد المعياري لتدوين الأصوات في المصطلحات المعربة، وذلك أن الحرف T في كلمة Semiotics قد رسم في الصورة المعربة الشائعة: «سيميوطيقا» طاء. كان مجمع اللغة العربية قد قرر ذلك، ولكنه عدَّل هذا القرار القديم فجعل الحرف T يرمز له بالتاء. طبقت هذه القاعدة ـ مع قواعد أخرى جديدة ـ في تدوين المصطلحات المعربة التي تضمنها المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام[1].

ثانياً: تعريب المصطلحين في ١، ٢ على رغم إمكان تقديم العربية مقابلاً مناسباً، على نحو ما سنرى، وهذا يعني انتفاء الضرورة التي تجيز التعريب، كما نصت القاعدة ٣٤ من «القواعد».

ثالثاً: تعدد المصطلحات المولّدة المقابلة. وهو ما يخرج عن المعيار الرابع، كما يخرج عن المبدأ الثاني من «المبادئ»، ونصه:

«وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد»[2].

وقد نتج التعدد هنا من اختلاف المصطلحات المقابلة فيما بينها، في المادة اللغوية

---

= مقالات لغوية في الأدب من اختياره وترجمته، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط١ (١٩٩٣).

وسعد مصلوح في ترجمته النصف الثاني من:

ـ اتجاهات البحث اللساني، لميلكا إفيتش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط١ (١٩٩٦) ص ٣٥١.

ويتردد بعضهم بين التعريب وذكر المقابل العربي، ومنهم: وفاء كامل في ترجمتها النصف الأول من:

ـ اتجاهات البحث اللساني، لميلكا إفيتش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط١ (١٩٩٦) ص ٣٥١.

ورضوان ظاظا، في ترجمته:

ـ مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، لمجموعة من الكتاب، سلسلة عالم المعرفة (٢٢١)، الكويت (مايو ـ آيار ١٩٩٧).

(١) راجع في ذلك: الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥١.

والصيغة. يبدو الترادف أقوى ـ في هذه المقابلات ـ بين السيمياء ومجموعتها وبين العلامية ومجموعتها. والمجموعتان أكثر المقابلات استعمالاً. يمكن ـ طباق المفرد في المقابلات المولدة ـ أن يكون التصنيف في ست مجموعات: مجموعة العلامة، ومجموعة السيما (أو السيماء أو السيمياء)، ومجموعة الدليل، ومجموعة الإشارة، ومجموعة الرمز، ومجموعة العرض. تعددت صيغ مفردات كل مجموعة ما عدا المجموعتين الأخيرتين. أدى الاختلاف في الصيغة والتركيب، إلى اختلاف في التعبير عن العلم، يبدو على النحو الآتي:

(أ) التعبير عن العلم بزيادة ياء النسب والتاء على المفرد في: العلامية ـ السيميائية ـ الإشارية.

(ب) التعبير عن العلم بزيادة ياء النسب والتاء على جمع المؤنث السالم في: العلاماتية.

(ج) التعبير عن العلم بزيادة ياء النسب والتاء على جمع التكسير في: الدلائلية ـ الأعراضية.

(د) استخدام كلمة «علم» + جمع المؤنث السالم في: علم العلامات ـ علم الإشارات.

(هـ) استخدام كلمة «علم» + جمع التكسير في: علم الأدلة ـ علم الدلائل ـ علم الرموز.

(و) استخدام كلمة «علم» + جمع المؤنث المنسوب في: علم السيميائيات.

(ز) أما جمع المؤنث المنسوب إلى مفرده، في: العلاميات ـ السيميائيات، فهو من باب الاختصار لـ: علم العلاميات وعلم السيميائيات، اللذين نتجا من: علم العلامة وعلم السيمياء؛ أي:

علم العلامة = علم العلاميات ——————> العلاميات.

علم السيمياء = علم السيميائيات ——————> السيميائيات.

لا يمكن مثل هذا الاختلاف في المادة اللغوية والصيغة والتركيب من التوحيد المعياري للمصطلح العربي المولد.

رابعاً: مقابلة المصطلح في الحقل السيميائي بمصطلح من الحقل الطبي. فالأعراضية تغفل المدلول الاصطلاحي لكل من Semiotics و Semiologie. الأعراضية تعود بالمدلول إلى الأصل اليوناني Semiotike الذي وضعه جالينوس، ليعني به «علم الأعراض» في الطب[1].

يؤدي ما سبق إلى الخروج عن المبدأ الثالث من «المبادئ»، ونصه:

«تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص عن اللفظ المشترك».

أود قبل ترجيح أحد المقابلات المولدة السابقة، أن أشير إلى ما يلي:

١ـ إذا كان بعض الدارسين يفرق بين Semiotics و Semiologie ـ معتمدين في ذلك على المجال النظري لاستخدام كل منهما عند بيرس ودوسوسير ـ فيجعلون الأول لعلم العلامات والمعاني العام، ويجعلون الآخر لعلم العلامات والمعاني اللغوية[2]، فإن دراسات عدة أحدثت تزاوجاً للمصطلحين، حتى صار أحدهما يعني ما يعنيه الآخر. هذا هو الميل الغالب في السيميائية[3].

وهذا يعني أن هذين المصطلحين، ينبغي لهما أن يقابلا بمقابل علمي واحد. هذا ما نألفه في الدراسات العربية والترجمات أيضاً. ويكاد عيسى علي العاكوب

(١) انظر: داسكال (مارسيلو): الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة حميد لحمداني وآخرين، سلسلة «البحث السيميائي»، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط ١ (١٩٨٦) ص ٤.

(٢) انظر مثلاً:

Danesi, Marcel/ Santeramo, Donato: Introducing Semiotics, An Anthology of Reading, Canadian Scholars, Press- Totonto (1992) p. VII.

(٣) من ذلك مثلاً:

Riffaterre, Michael: Semiotics of Poerty, Indiana Uni-Priss (1978) Ilam, Kerr: Semiotics of Theatre and Drama, Methuen-Londoņ (1980).

ينفرد بمقابلته Semiotics بعلم العلامات تارة والسيميائية تارة أخرى. أما -Semi ology فيقابله بعلم الرموز[1].

٢ـ ينبغي أن نضرب صفحاً ـ في القائمة السابقة ـ عن المقابلات الآتية:

(أ) الأعراضية: للسبب المذكور آنفاً.

(ب) علم الرموز؛ لأنها لم تلق شيئاً من القبول على استخدامها؛ ولأنها تعجز عن نقل الدلالة الاصطلاحية لاسم العلم. أضف إلى ذلك أن المفرد «رمز» أحد أنواع العلامة فحسب. فلا تصلح إلا مقابلاً لـ Symbol.

(ج) علم الإشارات والإشارية: لأنهما لم يلقيا أيضاً شيئاً من القبول؛ ولأنهما يلتبسان بمقابل مصطلح سيميائي آخر هو Deixis.

(د) السيمياء: لأنها تعني العلامة. ولابد لها من المضاف «علم»، على عكس «السيميائية» التي تعبر (بالياء المشددة والتاء المربوطة) عن العلم أو الاتجاه.

٣ـ لم تنل مقابلات أخرى استحسان المستخدمين، وهي «العلاميّة» و«العلاميات» و«العلاماتية». وظل استخدامها محدوداً للغاية، سواء في الدراسات العربية أم الترجمات.

٤ـ يبدو لنا المقابل «علم العلامات» من أشيع المقابلات عند المشارقة، ولاسيما في مصر. أما أشيعها عند المغاربة ـ وبعض المترجمين اللبنانيين ـ فهو السيمياء والسيميائية وعلم الأدلة. ولكننا نلحظ أن «السيميائية» صارت تنافس ـ في السنوات الأخيرة ـ المقابل «علم العلامات» في مصر وغيرها.

٥ـ تكاد المقابلات: «علم الأدلة» و«علم الدلائل» و«الدلائلية» تقتصر على الدارسين والمترجمين في المغرب.

(١) انظر: نيوتن (ك.م): نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي العاكوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١ (١٩٩٦) ص ١٨٠.

٦ـ بناءً على ما سبق، تبدو المنافسة الأقوى ـ في ميدان المقابلات العربية ـ بين «علم العلامات» و«السيميائية».

دعنا نرشح الآن «السيميائية» اسماً عربياً أمثل لكل من Semiotics و Semi-ologie. ونجد لذلك من الأسباب ما يلي:

أولاً: كثرة شيوعها عند كل من المشارقة والمغاربة، بينما يندر استعمال «علم العلامات» عند المغاربة.

ثانياً: تغني «السيميائية» عن التعريب، فلم يعد للتعريب معها ضرورة، لاسيما أن التعريب سوف ينتج صورتين اثنتين لمسمى واحد.

ثالثاً: فضلاً عن الصحة اللغوية، فهي تمتاز بالاختصار، مما يجريها على الألسنة. ولعل دار إفريقيا الشرق، بالدار البيضاء، توسمت هذه السمات، فأطلقت على سلسلتها المتخصصة «سلسلة البحث السيميائي».

رابعاً: أنها لفظ واحد، وما كان في المصطلح مكوناً من لفظ واحد، يفضل على ما زاد عليه، ما دام دالاً.

خامساً: أنها بمعنى العلامة؛ وذلك أن السُّومة والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء: العلامة»[١] والجمع السِّيم[٢]. وكذلك عرفت العلامة بالسمة وجمع العلامة علام[٣].

سادساً: فضلاً عن كل ذلك، فإن في «السيميائية» ما ليس في غيرها مما خالف مادتها. بيان ذلك: أن «السيما» و«السيماء» و«السيميا» ونحوها في العربية، ترجع

(١) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٢/ ٣١٢ (مادة سوم).

(٢) المرجع السابق ١٢/ ٣١٢ (سوم).

(٣) المرجع نفسه ١٢/ ٤١٩ (علم).

ـ من الناحية اللغوية التاريخية ـ إلى الأصل اليوناني: σημα[1] الذي اشتق منه Semiotics و Semiologie. وإذن السيما والسيماء والسيمياء، ألفاظ دخلت إلى العربية من اليونانية. وربما كان دخولها إلى العربية، عبر العبرية أو الآرامية اللتين عرفتا المادة ذاتها[2]. إنها ـ على أي حال ـ ألفاظ عرّبتها العربية منذ فترة تاريخية طويلة. وهذا يعني أننا في «السيميوطيقا» و«السيميولوجيا» المعرَّبتين، نعرب ثانية ما قد عرب. وأحسب أن مقابلة الأعجمي بمعرَّبه القديم المشهور، أولى من إعادة تعريبه جهلاً بالتاريخ اللغوي. ومازلنا نصدر ـ في الوقت نفسه ـ عن تطبيق القواعد العامة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال المصطلحات؛ فالقاعدة الخامسة والثلاثون تنص على أن: «يفضل اللفظ العربي على المعرَّب القديم، إلا إذا اشتهر المعرب». كان المجمع دقيق العبارة؛ فالعربي لا يفضل على المعرَّب القديم تفضيلاً مطلقاً. شهرة المعرب تبطل هذه الأفضلية، مهما كان معرباً.

على أن «السيميائية» لم تشتهر في العصر الحديث اسماً لهذا العلم، على علم مستخدميها بأصلها اللغوي التاريخي؛ أنا أزعم أن الذين استخدموها، حسبوها من معجم العربية الأصيل. يبدو الموقف عندهم ـ حينئذٍ ـ موقف تفضيل اسم عربي (أصيل): «سيميائية»، على أسماء أخرى معرّبة: «سيميوطيقا» و«سيميولوجيا».

لماذا لا يفتح الباب الآن على مصراعيه، لتستقر «السيميائية» اسماً لهذا العلم، إلى جانب أخواتها المستقرات: «البنيوية» و«الأسلوبية» و«الشعرية» ونحوها؟!.

في هذا المقام أيضاً، لا أرى ضرورة تحوج إلى استعمال «معنم» أو «معنيم» مقابلين لوحدة التحليل السيميائي الصغرى: Seme أو Sememe. المقابلان

---

(١) Jeffery, Arthur: The Foreign Vocabulary of the Qur'an, Oreintal Institut, Baroda (1938) p. 184.

(٢) المرجع ص ١٨٤.

يجمعان لفظاً عربياً ولاحقة معرّبة جنباً إلى جنب. كان عبدالرحمن أيوب قد لجأ إلى هذه الطريقة؛ فجعل «لفظيم» مقابلاً لـ Lexeme ومعنيم مقابلاً لـ Se-meme[1]. تبنى هذه الطريقة بعض اللسانيين والنقاد، ومنهم سعد مصلوح وعبدالسلام المسدي. يقول مصلوح: "ويمكن لهذه الطريقة ترجمة المصطلحات المركبة مثل: morphophoneme إلى صرفصوتيم، وهكذا... وفي تصورنا أن هذا البديل أفضل من نقل المصطلح بصورته الأوربية إلى الحروف العربية، أو ترجمته ترجمة قد تطول ولا تبين"[2]. وكذلك يجعل المسدي مقابله «معنم» ويجمعه على «معانم»[3]. أدت هذه الطريقة عند بعضهم إلى الخلط بين Sememe و morpheme، فيجعل «معنم» للكلمة الأخيرة أيضاً[4].

أحسب أن الأمر مع Sememe لا يحوج إلى مثل هذا كله، في وجود «سيمة».

## ٢ـ حقل مصطلحات تصنيف العلامات

ترجع المصطلحات في هذا الحقل إلى بيرس. كان بيرس قد صنف العلامات وفقاً لعلاقة العلامة بموضوعتها، إلى: Icon وIndex وSymbol. عرف هذا التصنيف باسم التصنيف الثلاثي للعلامة. ترجع العلاقة إلى طبيعة العلامة نفسها، أو إلى الرابطة الوجودية بين العلامة والموضوعة أو الشيء، أو إلى الرابطة بين

(١) انظر: سعد مصلوح: دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١ (١٩٨٩) ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٥٣.

(٣) عبدالسلام المسدي: قاموس اللسانيات، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس (١٩٨٤) ص ١٨٥.

(٤) هذا ما فعله مثلاً منذر العياشي في ترجمته:

ـ مفهوم الأدب، لتزيفتيان تودوروف، النادي الأدبي الثقافي بجدة (١٩٩٠) ص ٧١.

العلامة ومفسرتها[1]، يرى كير إيلام أن تصنيف بيرس للعلامات بالغ الإيحاء، ويتوافق بشكل فعلي مع إدراكنا البديهي لضروب الدوالّ المختلفة، إذ إنه جرى تطبيقه بشكل واسع لا يقبل الجدل أحياناً، وفي أكثر من حقل، ليس أقله في دراسة المسرح[2].

عوملت هذه المصطلحات على النحو التالي:

أولاً: اتفق على تعريب المصطلح الأول Icon في الصورة «إيقون».

ثانياً: اتفق على مقابلة المصطلحين الآخرين بألفاظ عربية. أجمع على مقابلة Symbol بكلمة «رمز». أما Index، فقد قوبل بـ «مؤشر» وهو الأشيع. ويندر أن يقابل بـ «شاهد» أو «أمارة» أو «مقياس» أو «علم»[3].

اتفق إذن على «الرمز»، كما ينبغي لنا أن نتفق على «المؤشر» لكثرة استعماله واختصاصه إذا قورن بسائر نظائره. إن «المؤشر» يتوافق مع ماعناه بيرس ومثل له بالدل بالإصبع (السبابة)، الذي يتصل بالموضوع المعني بالمجاورة المادية، وترنح مشية البحار التي تدل على مهنته، والقرع على الباب الذي يشير إلى وجود

(١) انظر: أنظمة العلامات ص ١٤١ وما بعدها.

(٢) سيمياء المسرح والدراما ص ٣٥.

(٣) انظر فيما سبق:

- سيزا قاسم: السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد، في: أنظمة العلامات ص ٣١.
- فريال جبوري غزول: تصنيف العلامات لبيرس، في: أنظمة العلامات ص ١٤٢.
- جابر عصفور (مترجم): النظرية الأدبية ص ٩٥.
- محمد الماكري: الشكل والخطاب: مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط ١ (١٩٩١) ص ٤٧.
- رئيف كرم (مترجم): سيمياء المسرح والدراما، مرجع سابق ص ٣٥.
- عبدالملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، في: مجلة (علامات)، النادي الأدبي الثقافي بجدة (سبتمبر ١٩٩٢) ص ١٦٢.
- أكرم اليوسف: الفضاء المسرحي: دراسة سيميائية، دار مشرق، دمشق، ط١ (١٩٩٤) ص ٣٥.

شخص ما في الخارج، وأدوات التأشير اللفظية Deixis (كالضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان... إلخ)[1].

وتبدو المقابلات: «شاهد» و«أمارة» و«مقياس»، غير محددة المعنى، وأما «العلم» الذي انفرد به عبدالملك مرتاض ـ وحسبه اجتهاده ـ فلا أجده مناسباً؛ لأنه ـ من ناحية ـ مصطلح نحوي عربي مشغول؛ ولأنه ـ من ناحية أخرى ـ لن يضم إلا بعضاً من أدوات التأشير اللفظي فيما سبق.

ولا أجد بأساً من أن ينتظم عقد المصطلحات الثلاثة على طريقة واحدة، حين نستبدل «بالأيقون» (أو «الأيقونة») «المصور» (أو «المصورة»)، ولاسيما أن الذي عناه الأصل اليوناني Eikon، الذي نجده في أصل الاستعمال الإنجليزي والفرنسي، هو ـ كما يقول جريماس Greimas وكورت Courtes ـ: "الصور المقدسة للديانة المسيحية"[2]. أضف إلى ذلك أن أمثلة بيرس لهذا النوع من العلامات، ترجح هذه التسمية العربية. تشتمل أمثلته على الرسم التصويري، والتصوير الفوتوغرافي. وفي وقت لاحق ميّز بين ثلاثة أنواع من الأيقونة: الصورة والتخطيط والاستعارة[3].

### ٣ـ حقل مصطلحات الوظائف الاتصالية

في بحث الوظائف الاتصالية للعلامات، اعتمدت السيميائية ـ كالحال في اتجاهات لسانية ونقدية أخرى ـ نموذج ياكوبسون المعروف. نقلت الوظائف الست التي حددها إلى العربية على غير إجماع على مقابل واحد لكل وظيفة:

أولاً: أكثر ما قوبلت به Referential: «الوظيفة المرجعية». ولكنها قوبلت

(١) سيمياء المسرح والدراما ص ص ٣٦-٣٧.

(٢) نقلاً عن: التحليل السيميائي للخطاب الشعري ص ١٦٢.

(٣) سيمياء المسرح والدراما ص ٣٦، وقارن: تصنيف العلامات ص ١٤٢.

أيضاً بـ «الوظيفة الإشارية»[١].

ثانياً: أكثر ما قوبلت به Emotive: «الوظيفة الانفعالية»، ولكنها قوبلت أيضاً بـ «الوظيفة العاطفية»[٢]. ومنهم من جعل لها ـ إضافة إلى «الانفعالية» ـ اسم «الوظيفة التعبيرية»[٣].

ثالثاً: أكثر ما قوبلت به Conative «الوظيفة الطلبية»، ولكنها قوبلت أيضاً بـ «الوظيفة التضمينية أو الأمرية»[٤]، و«الوظيفة المعرفية»[٥] و«الوظيفة الإرادية»[٦].

رابعاً: يمكن القول بأن هناك إجماعاً على مقابلة Poetic بـ «الوظيفة الشعرية». وليس الجمع بين هذه التسمية و«الجمالية» مما يغير شيئاً في صورة الإجماع. وذلك أن الوظيفة الشعرية هي التوجه نحو «الرسالة بصفتها رسالة»، والشعر ـ في الوقت نفسه ـ هو اللغة في تحققها الجمالي، على حد قول ياكوبسون ذاته[٧].

خامساً: يكثر أن تقابل Phatic بـ «الوظيفة الربطية» أو «وظيفة الربط». ولكنها قوبلت أيضاً بـ «وظيفة إقامة الاتصال»[٨] و«الوظيفة الشارحة»[٩]، بل لقد قوبلت عند أحدهم بـ «الوظيفة اللغوية»![١٠].

---

(١) من الأمثلة: صلاح فضل: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، مجلة (فصول) مج ٥، ع١ (أكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٤) ص ص ٤٧-٥٩.

حامد أبو أحمد في ترجمته:

ـ نظرية اللغة الأدبية، لخوسيه إيفانكوس، مكتبة غريب، القاهرة ط١ (١٩٩٢) ص ٥١.

(٢) انظر مثلاً: صلاح فضل: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، مرجع سابق ص ٥٥.

(٣) انظر مثلاً: عيسى علي العاكوب في ترجمته: نظرية الأدب في القرن العشرين، مرجع سابق ص ١٢٦.

(٤) انظر مثلاً: أنطوان أبو زيد، في ترجمته: السيمياء، لبيار غيرو، مرجع سابق ص ١١.

(٥) انظر مثلاً: أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، مرجع سابق ص ٢٥.

(٦) انظر مثلاً: عيسى علي العاكوب في ترجمته: نظرية الأدب، مرجع سابق ص ١٢٩.

(٧) انظر: نظرية اللغة الأدبية ص ٥٠.

(٨) انظر مثلاً: أنطوان أبو زيد، في ترجمته: السيمياء، لبيار غيرو، مرجع سابق ص ص ١٢-١٣.

(٩) انظر مثلاً: حامد أبو أحمد في ترجمته: نظرية اللغة الأدبية، ص ٥١.

(١٠) وهو أنور المرتجي في: سيميائية النص الأدبي ص ٢٥.

سادساً: أما الوظيفة الأخيرة المسماة عند ياكوبسون Metalingual، فإن الاختلاف في نقلها إلى العربية قد شهر أمره:

(أ) شرح تمام حسان meta - language باللغة التي تدور حول اللغة[١].

(ب) ويطلق عليها عيسى العاكوب[٢] وحامد أبو أحمد[٣] وغيرهما اسم «وظيفة ما وراء اللغة». وهي من التسميات التي تنال حظاً من الشيوع.

(ج) ويطلق عليها أنطوان أبو زيد اسم «الألسنية التعددية»[٤]. وهي تسمية غامضة، لم يجر وراءه أحد فيها.

(د) وأطلق عليها عبدالسلام المسدي اسم: «الوظيفة الانعكاسية»[٥]. وهي تسمية عجز عن الإبانة عن المقصود في اصطلاح ياكوبسون.

(هـ) وأطلق عليها محمد البكري[٦] وسعد مصلوح[٧] اسم «وظيفة اللغة الواصفة».

(و) وأطلق عليها دكتور صلاح فضل اسم «الوظيفة الميتالغوية»[٨]. وقد صنع آخرون ما صنع، مثل: سيزا قاسم[٩]، وأنور المرتجي[١٠] ومحمد الماكري[١١].

---

(١) انظر ترجمته: النص والخطاب والإجراء، لروبرت دي بوجراند، عالم الكتب، القاهرة، ط١ (١٩٩٨) ص ٦٠٩.

(٢) نظرية الأدب ص ١٢٩.

(٣) نظرية اللغة الأدبية ص ٥١.

(٤) السيمياء ص ١٣.

(٥) قاموس اللسانيات ص ٢٢٠.

(٦) مبادئ في علم الأدلة ص ١٥١.

(٧) اتجاهات البحث اللساني ص ٤٨٤.

(٨) علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ص ٥٥.

(٩) في ترجمتها: سيميولوجيا اللغة، لإميل بنفنست، في: أنظمة العلامات ص ١٨٩.

(١٠) سيميائية النص الأدبي ص ٢٥-٢٦.

(١١) الشكل والخطاب ص ٩٢.

يقف الاختلاف في نقل الوظائف على النحو السابق حجر عثرة في سبيل التوحيد المعياري للمصطلح.

أود الآن ـ بعد الوقوف على حدة الاختلاف ـ أن أسجل الملحوظات التالية:

١ـ لنا أن نضرب صفحاً عن تسميات مثل: «الوظيفة التعبيرية» و«الوظيفة التضمينية» و«الوظيفة المعرفية» و«الوظيفة الإرادية» و«الوظيفة الشارحة» و«الوظيفة اللغوية» و«الألسنية التعددية»؛ وذلك أن الصواب قد جانبها في نقل مفهوم المقابلات الاصطلاحية الياكوبسونية. ولنا أيضاً أن نضرب صفحاً عن «الوظيفة الانعكاسية»؛ وذلك أنها خرجت عن شرط وضوح المعنى ودقته في المصطلح.

٢ـ ينبغي ترجيح كفة التسميتين: «الوظيفة المرجعية» و«الوظيفة الانفعالية» على التسميتين: «الوظيفة الإشارية» و«الوظيفة العاطفية»، وذلك أن التسميتين الأوليين أكثر استعمالاً وأدق تعبيراً عن المعنى.

٣ـ على رغم ما حظيت به تسمية الوظيفة السادسة بـ «الميتالغوية» من دوران نسبي، فإنني آمل أن نمنح تسميتها بوظيفة اللغة الواصفة مزيداً من الشيوع. الأخرى تفضل الأول لسببين:

أحدهما: أن في «اللغة الواصفة» من إصابة معنى المصطلح الأصلي والإفصاح عنه ما ليس في «الميتالغوية».

والآخر: أن «اللغة الواصفة» مقابل عربي خالص، بينما جمعت «الميتالغوية» بين تعريب جزء (هو السابقة ـ meta) وترجمة آخر.

وهذه الطريقة تخالف القاعدة الرابعة والثلاثين من «قواعد» المجمع، من حيث انتفاء الضرورة، ومن حيث إن التعريب هنا لم يكن على طريقة العرب في تعريبهم. إذا عرّب الأعجمي عرّب كله، على نحو ما فعل في «الميتافيزيقا» وأخواتها. من المعروف في علم المصطلح، أن نقل المصطلح إلى لفظ واحد، يفضل نقله إلى أكثر

من ذلك. ولكن الأمر ليس على إطلاقه. في حالتنا هذه، أحسب أن نقل المصطلح إلى كلمتين عربيتين، تتحقق بهما الإبانة، أفضل من نقله ـ كلمة واحدة ـ بتعريب جزء وترجمة آخر. أدت هذه الطريقة إلى أن يدخل المصطلح Meta-text إلى العربية في الصورة: «الميتانص». شبيه بذلك ـ مع اختلاف السابقة ـ ما نجده عند بعضهم في «الماكرو ـ علامة»، بدلا من «العلامة الكبرى». ومما يستحق النظر، ويقتضي الاتفاق عليه، قبل أن يشيع بين الناس، حتى إذا ما اكتشفنا استعصاءه عدنا القهقرى، ما يدعو إليه سعد مصلوح، من اتباع طريقة في التعريب، ذات طابع توليدي؛ هي الطريقة التي تصك بها المصطلحات في لغاتها الأصلية؛ كأن نقابل phoneme و morpheme بـ «صوتيم» و«صرفيم»، وأن نقابل: phonology و morphology بـ: «صوتولوجي» و«صرفولوجي»... إلخ[1].

في ضوء المبدأ الثاني عشر من «المبادئ»: «في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف، تفضل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح»، وفي ضوء القاعدة الخامسة والعشرين من «القواعد»: «تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر، عند وضع اصطلاح جديد، إذا أمكن ذلك، وإذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية»، وفي ضوئهما، ينبغي أن تكون تسميات الوظائف الاتصالية الست، على النحو التالي: الوظيفة المرجعية ـ الوظيفة الانفعالية ـ الوظيفة الطلبية ـ الوظيفة الشعرية ـ الوظيفة الربطية ـ وظيفة اللغة الواصفة.

**٤ـ حقل مصطلحات العلاقات بين العلامات**

وهو يعرف أيضاً بحقل الأنظمة السيميائية. ترجع المصطلحات فيه إلى دوسوسير. جعل دوسوسير العلاقات بين العلامات، على محورين اثنين: Paradigmatique / Syntagmatique.

(١) دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة ص ٥٢.

ظل هذا التقسيم الأساس في دراسة الأنظمة السيميائية، وطبقت شهرته الآفاق. يعني الأول Paradigmatique؛ علاقة بنائية بين العلامات للفصل بين علامة وأخرى. ويعني الثاني: Syntagmatique؛ علاقة بنائية للوصل بين العلامات وفقاً للشفرة المستخدمة.

إذا كانت الإشكاليات في الحقل السابق قد بدت في تعدد المصطلح بالترادف، ووقوع التعريب على غير ما توقعه العربية، فإن الإشكالية في هذا الحقل تبدو ـ في الأساس ـ في تعدد المصطلح بالترادف تعدداً يحول حقاً دون التوحيد المعياري[1].

لما كان المصطلحان يصنعان ثنائية، بين طرفيها علاقة تكامل، فقد حق النظر إليهما في آن معاً:

١ـ الرأسية/ الأفقية[2].

٢ـ الاستبدالية/ السياقية[3].

٣ـ الاستبدالية/ التتابعية[4].

(أو الاستبدال)/ (أو التتابع)[5].

٤ـ الاستبدالية/ النظمية[6].

٥ـ الاستبدالية/ التراكبية[7].

---

(١) لم يأبه الرأي العام العلمي بالتعريب في مثل «البراديجماتية» عند حميد لحمداني وزملائه في: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ص ٨٣.

ولا بـ «السينتاجمية» عند وفاء كامل في ترجمتها النصف الأول من: اتجاهات البحث اللساني ص ١٦٩.

(٢) انظر مثلاً: سعيد بحيري: علم لغة النص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط١ (١٩٩٣) ص ١٩.

(٣) انظر مثلاً: سيزا قاسم: السيميوطيقا؛ حول بعض المفاهيم والأبعاد، في: أنظمة العلامات، ص ٣٥.

(٤) انظر مثلاً: تمام حسان في ترجمته: النص والخطاب والإجراء ص ١٠.

(٥) انظر مثلاً: سعد مصلوح في ترجمته: اتجاهات البحث اللساني ص ٤٨٧، ص ٤٩١.

(٦) انظر مثلاً: رضوان ظاظا في ترجمته: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ص ٢٢١.

(٧) انظر مثلاً: محمد الماكري في: الشكل والخطاب ص ٩٤.

٦ـ البدائلية/ النظمية[١].

٧ـ الجدولية/ النسقية[٢].

٨ـ الجدولية/ الارتسام التركيبي[٣].

مما سبق، نلحظ ما يلي:

أولاً: أن أكثر ما عبر عن العلاقة في الطرف الأول من الثنائية بـ «الاستبدالية»، وأن أكثر ما عبر عنها في الطرف الثاني بـ: «التركيبية» و«النظمية». وهنا أجد «النظمية» أفضل؛ لأنها تقوم على مصطلح عربي تراثي مختص، تبرز فيه معاني النحو.

ثانياً: الأكثر استعمالاً في الثنائيتين (بعد تفضيل «النظمية»)، هو ـ في الوقت نفسه ـ الأرجح؛ لأنه ـ فضلاً عن ميزة كثرة الاستعمال ـ الأوضح والأدلّ على المعنى؛ ففي الطرف الأول، نرى «الجدولية» حرفية غامضة، و«الرأسية» ترجمة الترجمة (عنيت أنها لا تعبر بنفسها عن المعنى، بل تحتاج إلى أن تحول إلى ما يفسرها بـ «أي» ونحوها). وفي الطرف الثاني، نرى «الأفقية» كالرأسية، ونرى «النسقية» مبهمة، ونرى «التتابعية» تسطيحاً للعلاقة تضيع معه خاصة النظم، ونرى «السياقية» ملتبسة بـ Contextual.

بناءً على ما سبق، يحسن أن تكون العلاقة بين العلامات في المصطلح السوسيري، على النحو التالي:

الاستبدالية / النظمية

يتمشى الترجيح السابق ـ في طرفي الثنائية ـ مع القاعدة الرابعة والعشرين من «القواعد»: «تفضيل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة، إلا إذا شاعت»،

(١) انظر مثلاً: رئيف كرم في ترجمته: سيمياء المسرح والدراما ص ٣٣٦، ص ٣٤١.

(٢) انظر مثلاً: عبدالسلام المسدي في: قاموس اللسانيات ص ٢٤١.

(٣) انظر مثلاً: محمد نديم خشفة في ترجمته: الأدب والدلالة ص ٥٢.

كما يتمشى مع المبدأ السادس من «المبادئ»: «استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي: التراث، فالتوليد»، والمبدأ الحادي عشر من «المبادئ» أيضاً: «تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة، ومراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي»، فضلاً عن تمشيه مع المعيار الأول من «المعايير العامة» الأربعة.

**٥ـ حقل مصطلحات المفاهيم السيميائية**

أقتصر هنا على مفهومين رئيسين في السيميائية، أحدهما: Semiosis أو Semi-otization، والآخر: الثنائية: Denotation /Connotation. يعني الأول إنتاج العلامات وفهمها. وهو يرجع إلى بيرس. ويعني عنده علاقة تربط بين العلامة Sign /Signe، والموضوع Object /Objet، والمفسرة interpretant[1]. وكان ريفاتير يرى أن «الحقل الأصيل للسيميوطيقا، هو انتقال العلامات من مستوى معين من الحديث إلى مستوى آخر؛ أي تصعيدها من دلالة مركبة في مستوى أولى من قراءة النص، إلى وحدة نصية تنتمي إلى منظومة أكثر تطوراً. وكل ما يرتبط باندراج العلامات من صعيد المحاكاة إلى مستوى أعلى من الدلالة، فهو مظهر من مظاهر السمطقة «Semiosis»[2].

في النص السابق عرّبت فريال جبوري غزول المصطلح إلى «السمطقة»، وهو ما صنعته أيضاً سيزا قاسم في موضع آخر[3]. وقد نقل حميد لحمداني وزملاؤه هذا

(١) انظر: أنظمة العلامات ص ٣٥٠.

(٢) سيميوطيقا الشعر، في: أنظمة العلامات ص ٢١٧، وانظر حول هذا المفهوم في المسرح والدراما: سيمياء المسرح والدراما ص ١٤ وما بعدها.

(٣) انظر ترجمتها لمقال كير إيلام: العلامات في المسرح، في: أنظمة العلامات ص ٣٤١.

المصطلح إلى صورة صوتية حرفية، هي «سيميوزيس»[1]. شكلان معربان إذن لمصطلح واحد.

من ناحية أخرى، نقل المصطلح إلى مقابل لغوي عربي مولد، هو «السمياة» عند رئيف كرم[2]. و«التدلال» عند محمد البكري[3].

يعني ما سبق تعدد الصورة في التعريب، وتعدد اللفظ المقابل بالترادف الجزئي في التوليد.

وغني عن البيان، أن «سيميوزيس» لا تعد تعريباً، بل هي نقل حرفي، وهي غير متداولة، ولهذين السببين لن نلقي لها بالاً. أما «السمطقة» و«التدلال»، فلا مكان لهما مع الاتفاق على إيثار «السيميائية» (أو علم السيمياء) على السيميوطيقا وعلم الأدلة. ومع التسليم بخضوع «السمطقة» للقاعدة الثامنة من قواعد المجمع، التي تجيز الاشتقاق من الاسم الجامد المعرب (بتضعيف الراء) غير الثلاثي على «فَعْلَلَ» الذي لازمه «تفعلل» ـ مشتركة معها في ذلك «السمياة» ـ فإن «السمياة» أخف منها على اللسان. وإذا كانت «السمياة» تناسب إيثار السيميائية (أو علم السيمياء) على السيميوطيقا، فإنني أجد في لفظ آخر، ما يتمشى مع ما أثرنا من ناحية، ويفوق «السمياة» في خفة النطق من ناحية أخرى، أجد ذلك في «السَّوْم» الذي يعني في اللغة التكليف والتجشم[4]. وهو معنى لغوي يرتبط به المعنى الاصطلاحي الذي نريده الآن لـ «السوم»؛ كأننا نكلف السيماء (أو السيمياء)، أي العلامة، أن تنتقل من مستوى معين من الحديث إلى مستوى آخر، ونجشمها أن تعبر صعيد المحاكاة إلى مستوى أعلى من الدلالة في النص!.

(١) حميد لحمداني وزملاؤه في ترجمة: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ص ٣٨.

(٢) انظر ترجمته: سيمياء المسرح والدراما ص ١٤.

(٣) انظر ترجمته: مبادئ في علم الأدلة ص ٢٤٩.

(٤) انظر: لسان العرب ١٢/ ٣١٢ (سوم).

أنتقل الآن إلى المفهوم الثاني الذي تقدمه الثنائية:

Denotation / Connotation

وهو من المفاهيم التي وقف عليها طويلاً هيلمسليف وتودوروف وكريستيفا. تقول جيزيل فالانشي: «كان المصطلح Connotation ردحاً من الزمن شعار المعركة بين «النقد الجديد» والنقد «غير محدد الانتماء Situeenon»[١].

يحسن مع هذه الثنائية ـ مثلما فعلنا في الحقل السابق ـ أن نعرض مقابلات طرفيها جنباً إلى جنب:

| Denotation / | Connotation |
|---|---|
| ١ـ الدلالية الحقيقية | الدلالة بالتضمن[٢]. |
| ٢ـ الدلالة الذاتية | الدلالة الإيحائية[٣]. |
| ٣ـ التقرير | الإيحاء [٤]. |
| ٤ـ الدلالة الاصطلاحية | الدلالة المصاحبة[٥]. |
| ٥ـ الدلالة الصريحة | الدلالة المؤولة[٦]. |
| ٦ـ الدلالة المباشرة (أو التعيين) | ظلال الدلالة (أو الإيحاء)[٧]. |
| ٧ـ التعيين | التضمين[٨]. |

(١) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ص ٢٣٥.

(٢) الفضاء المسرحي: دراسة سيميائية ص ٢٧، ١١.

(٣) قاموس اللسانيات ص ٢٢٩، ٢٣٤.

(٤) مبادئ في علم الأدلة ص ١٣٥.

(٥) العلامات في المسرح، في: أنظمة العلامات ص ٢٤٣.

(٦) دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة ص ٢٧، ٣٥.

(٧) نظرية اللغة الأدبية ص ٦١.

(٨) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ص ٢٣٥.

يبدو اختلاف الثنائيات فيما بينها بالترادف عائقاً في سبيل التوحيد المعياري للمصطلح. يمكن أن يفتح الترادف ـ عند آخرين ـ أبواباً أخرى عدة لصك ثنائيات جديدة. ومن المسلم به أن هذه الثنائيات لم توضع في وقت واحد. وهذا يعني ضمناً أن كل امرئ يجد في مصطلحه ما لا يجده عند الآخرين في نقل المعنى المقصود. لعل أكثر هذه الثنائيات امتثالاً لما توصي به «القواعد» و«المبادئ» و«المعايير» هي الثنائية الرابعة: الدلالة الاصطلاحية/ الدلالة المصاحبة. يحيي طرفها الأول اصطلاحاً عربياً تراثياً. ويتضمن طرفها الثاني معاني أقرانه كلها. على أن تقليب سياقات استعمال هذه الثنائية يفض المشكل إلى ما لا يكون عليه اختلاف. فالمصطلح Denotation يعني «المعنى الأولي» للعلامة، بينما يعني المصطلح Connotation «المعنى الثانوي» لها.

وبعد؛ فقد أثبتت هذه الدراسة ـ في شأن المرادفات العربية المولدة للمصطلح الأجنبي ـ أننا كثيراً ما نعاجل المصطلح الأجنبي بمقابله، في نظر فردي، معرضين ـ دونما مبرر ـ عما صنعه آخرون وفقوا إلى الصواب.

وفي شأن التعريب، أثبتت هذه الدراسة أننا مازلنا نشهد ميلاً طاغياً إلى التعريب، دون أن نُعنّي أنفسنا بالتنقيب عن بديل تراثي مستقر. ليس معرَّة أن تدخل العربية مصطلحات أجنبية؛ فالاقتراض اللغوي مما تسمح به سائر اللغات. ولكنها ـ فيما يبدو لنا ـ تدحض التعريب إذا ظهرت قدرتها على توفير البديل. وهذا أمر مطلبه عسير. ولكننا ـ فيما أزعم ـ لم نسع له بعد سعيه. إذا كانت قواعد المجمع في المصطلح العلمي قد عرفت طريقها إلى الناس في عام ١٩٣٤م، فقد سبق المجمع ـ في أمر التعريب ـ بما انتهت إليه مناظرة شهدها نادي دار العلوم في عام ١٩٠٨م، أنه: «إذا عرض لنا لفظ أعجمي ترجمناه إلى لغتنا، وإذا تعذر ذلك أيضاً استعملنا مكان الأعجمي كلمة عربية مصوغة بإحدى طرق المجاز، وإن

لم يمكن شيء من ذلك، نلجأ إلى تعريبه أسوة بالمعربات الشائعة في لغتنا»[1]. على رغم ذلك، ظل أناس كثيرون ـ منذ ذلك العهد ـ يسرعون الخطى إلى التعريب، دونما تنقيب. وما الدلاليم والمعانيم واللكسيمات والبارالانكاج والميتالغة والماكرو علامة والصرفولوجي ونحوها مما يخدش ذوق العربية ولا يكاد يبين، إلا من ضرب الصفح وطي الكشح عن حقيقة في علم المصطلح، أنه «ليس من الضروري أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه، فالمصطلح يحمل صفة واحدة على الأقل من صفات ذلك المفهوم»[2].

كذلك أثبتت هذه الدراسة أن الحال مع الاشتقاق مما يحوج إلى نظر معاود ووضع لحدود. فليست الشكلنة والبنينة والأدلنة والثقفنة والمقولة والتجمعن والثانيانية[3] ونحوها، إلا من مسالك من يجد في رخص اللغة واللغويين مورداً عذباً، وهو من لغة القوم في أرض يباب، فعاجل الري منه دونما ذوق أو حساب!

* * *

(١) انظر: محمد ضاري حمادي: حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، دار الرشيد للنشر، بغداد (١٩٩٨) ص ٢٩٢.

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص ١٥.

(٣) انظر نماذج على ذلك في ترجمة محمد البكري: مبادئ في علم الأدلة ص ٦٩، ٨٣، ٨٦، ١٤٨ وغيرها.

# ثانياً: القضايا والآراء وعرض الكتب